عيد تجسُّد الله الكلمة،

هو عيد تجسُّد المحبة الإلهية

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٨

www.coptology.org

استعلان المحبة وقناع اللغة

كتب رسول الرب يوحنا: "أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ" (١ يوحنا ٤: ٧) ولم يكتف بذلك بل أضاف: "وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ" (١ يوحنا ٤: ٨). ولأن "الله محبة" صار عند البعض مجرد تعبير، فقد استوجب ذلك استعادة التعليم الرسولي؛ لأن الرسول يكتب بعد ذلك:

"بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا:

أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ" (١ يوحنا ٤: ٩).

فقد درج البعض على اعتبار المحبة صفة من صفات الله، ومع استخدام صيغة المؤنث للمحبة، تأصَّل ذلك الفهم الخاطئ الذي يعتبر:

- أن المحبة ليست لها إرادة كصفة ..

- وأن المحبة ليس لها عقل ..

في حين أن المحبة استُعلِنت حسب الرسول يوحنا: "فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ:

- لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ،

- بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا" (١ يوحنا ٤: ١٠).

وحسب قواعد اللغة، إذا قلنا أو كتبنا: "المحبةُ تجسَّد"، فإن قواعد اللغة تلزمنا أن نكتب: "المحبةُ تجسَّدت"، ولكن بغض النظر عن قناع اللغة عديم الشفافية، فقد استُعلِن لنا الله على أنه: "الله محبة". هذا الاستعلان لم يحدث في مجرد حادثٍ، بل في تقديم الابن –وهو شخص أو أقنوم الله الكلمة– لذاته: "لأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ" (يو ٣: ١٦)، وهي أشهر كلمات إنجيل يوحنا، التي تُقال ربما في كل عظة، دون أن نقف ولو برهة، لكي نفهم وندرك أن إرسال الابن لم يكن إرسالاً لصفة، بل أقنوم وشخص الابن. وعندما كتب الرسول بولس: "أَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا"، فهو لم يكن يكتب عن صفة؛ لأن هذا الانسكاب تم "بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا" (رو ٥: ٥).

والروح القدس ليس صفةً من صفات الثالوث، بل هو الأقنوم الثالث، وعلى ذلك يصبح استعلان المحبة، ليس فقط بتجسد الابن وموته وقيامته، بل أيضاً بانسكاب الروح، فقد "بَيَّنَ اللهَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا" (رو ٥: ٧).

المحبة، إذن هي حياة الثالوث، ولذلك صيغة المؤنث، تليق بوحدانية الجوهر، أو بالدقة "بالحياة الإلهية".

الفهم الخاطئ للمحبة الأقنومية (الشخصية):

في أنشودة الرسول بولس (١كو ١٣: ١–٨) يبدو لمن يقرأ كلمات الرسول قراءة سطحية، أن الرسول كتب عن فضيلة أو عن صفة، ولكن علينا أن نسأل عما وراء هذه الكلمات:

- "الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ.
- الْمَحَبَّةُ لاَ تَحْسِدُ.
- الْمَحَبَّةُ لاَ تَتَفَاخَرُ وَلاَ تَنْتَفِخُ.

- وَلاَ تُقَبِّحُ وَلاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا وَلاَ تَحْتَدُّ وَلاَ تَظُنُّ السُّوَءَ.

- وَلاَ تَفْرَحُ بِالإِثْمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ.

ثم:

- وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ

- وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ (مواعيد الله).

- وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

- اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَسْقُطُ أَبَداً (لا تفشل ولا تنتهي) (١كو ١٣: ١-٧).

لا يتكلم الرسول هنا عن مجرد صفة، بل عن حياةُ مَن يحب؛ لأن حركة المحبة في التأني والرفق وعدم الحسد وعدم ظن السوء، واحتمال كل شيء، بل والصبر على كل شيء، كل هذا ينطلق من حياة لا صفات، هي حياة الشخص الذي لا يحسد ولكنه يصدق، فخلف كل عبارة من عبارات الرسول التي تبدو كما لو كانت وصفاً، هناك **الإرادة والفهم والقرار**، وهي مكونات مَن يحب.

المحبة حسب أقانيم الثالوث:

درجنا على قراءة يوحنا ١٧ في أسبوع الصلاة من أجل الوحدة، وهذا حسن، ولكننا لم نسلك حسب ما أعلنه يسوع المسيح ربنا:

- محبة الآب للابن: "كل ما أعطيتني هو من عندك"

- "كل ما هو لي فهو لك، وكل ما هو لك فهو لي" (يو ١٧: ١٠)

- "نحن واحد

- أنت فيَّ وأنا فيك".

وكانت نهاية صلاة الرب يسوع:

- "ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم" (١٧: ٢٦).

ولذلك، فإن أساس الحياة التي فينا هو حسب الليتورجيا:

- "محبة الله الآب،

- ونعمة الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح،

- وشركة وموهبة وعطية الروح القدس".

وقد وضع الرسول: "نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ **مَعَ جَمِيعِكُمْ**. آمِينَ" (٢كو ١٣: ١٤)؛ لأننا قبلنا الرب يسوع، **فهو ذاته النعمة الذي** (وليس التي) **وُهِبَ لنا**؛ لأننا "للمسيح" (١كو ٣: ٢٣). ولذلك، يكتب الرسول: "فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ (أخذ صورة العبد) وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ" (٢كو ٨: ٩).

محبة الله، والحرب ضد الروح القدس:

ثارت عواصف الكلمات والاتهامات طوال الـ ٤٠ عاماً الماضية حول عطية الحياة الأبدية، أي عطية الروح القدس الذي انسكب فينا، فتحول الروح من أقنوم إلى مواهب!!! ولكن كما ذكرنا في السطور السابقة، المحبة تحتاج إلى إرادة، فهي ليست صفة، بل هي حياة الشخص. فالمحبة لا تتحرك بدون فهم؛ لأن العطاء هو عطاء شركة، وما الشركة إلا شركة الروح القدس، شركة حياة "الرب المحيي" واهب الحياة. وسوف نرى كيف تُنكر هذه الحرب عطية التبني.

المحبة وعطية التبني:

تجسَّد الابن له المجد معلناً الروح القدس لنا بالحبل البتولي؛ لأن الروح القدس كوَّن الإنسانية التي أخذها من القديسة مريم. ولما اعتمد من يوحنا في الأردن حلَّ عليه الروح القدس، وبذلك وحسب التدبير:

- وُلِدَ من الروح القدس لكي يؤسِّس لنا الولادة الجديدة.

- مُسِحَ في نهر الأردن لكي يهب لنا ذات الروح الذي ناله هو؛ لكي نصير حقاً "مسيحيين"، أي ممسوحين بالروح القدس.

فأساس التدبير، هو العمل الإلهي المباشر الذي يعطيه الابن لنا من أقنومه الإلهي، وعن ذلك يقول الرسول بولس: "الَّذِي يُثَبِّتُنَا مَعَكُمْ فِي الْمَسِيحِ، وَقَدْ مَسَحَنَا، هُوَ اللهُ. الَّذِي خَتَمَنَا أَيْضاً، وَأَعْطَى عَرْبُونَ الرُّوحِ فِي قُلُوبِنَا" (٢كو ١: ٢١-٢٢). ويشهد يوحنا الرسول أنَّ لنا "مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ" (١يوحنا ٢: ٢٠)؛ لأننا بهذه المسحة صرنا "هيكل الله لأن روح الله يسكن فينا" (راجع ١كو ٦: ١٩) مما دعا نفس الرسول أن يكتب: "أُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ (نوع المحبة) أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!" (١يوحنا ٣: ١٠). إذن، عطية التبني هي عطية المحبة الإلهية، تلك التي جعلتنا أخوةَ الرب. فقد صار هو "البِكر بين إخوةٍ كثيرين" (رو ٨: ٢٩)، وهي ليست مجردَ اسمٍ أُعطي لنا، أي اسماً شرفياً، ولكن لأنه شاركنا "اللحم والدم" حسب عبارة العبرانيين (٢: ١٤)؛ صرنا إخوةً بسبب تجسده، فصرنا شركاء له في ملكه الأبدي، وصرنا نرث معه ذات الملكوت (راجع رو ٨: ١٦).

هذه ليست مواهب، بل عطية الثالوث لنا النابعة من ذات الحياة الإلهية.

وعلى ذلك يجب علينا ألا نلتفت إلى التعليم المزيَّف الذي يهدف إلى تزيّيف الايمان، وبالتالي تزيّيف كياننا نحن. لأننا هنا ندافع عن وجودنا ومصيرنا الأبدي حتى لا

نؤمن بما يجعلنا غرباء عن محبة الله التي انسكبت في قلوبنا بالروح القدس (رو ٥: ٥).

المحبة الثالوثية هي حياة الثالوث:

هل يمكن لعاقلٍ أن يتصـــور وجود نوعين من المحبة في حياة الثالوث: محبة الآب للابن، ثم محبة الخليقة؟ لم نجد هذا في الأســـفار المقدســـة، ولا في تعليم الآباء، ولا في الليتورجيات الأرثوذكســـية، لكن هناك **محبة واحدة** وهي ذات المحبة التي طلبها الابن له المجد لنا من الآب. "لِيَكُونَ فِيهِمُ **الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ** وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ" (يوحنا ١٧: ٢٦).

لا يمكن بالمرة أن نجد نوعين من المحبة، محبة الأقانيم الخاصـــة بهم، ومحبة أخرى للأقانيم خاصة بالخليقة، وفي مقدمة الخليقة، الإنسان الذي خُلق "على صورة الله ومثاله" (تكوين ١: ٢٦)؛ لأن عطية الصـورة الإلهية كشـفت لنا عن محبة الخالق للإنسـان (راجع تجسد الكلمة)، حيث يقول أثناسيوس: "لأنه رأى عدم قدرة الإنسان على أن يبقى على الحالة التي خُلق فيها، أعطاه نعمةً إضـــافيةً، فلم يكتف بخلق البشـــر مثل باقي الكائنات غير العاقلة على الأرض، بل خلقهم على صورته وأعطاهم شركة في قوة كلمته (٣: ٣٠).

ومن هذا يتبين لنا أن:

– المحبة الواحدة التي لا تنقســم هي التي تجعلنا نؤمن حقاً بأن اســتعلان الثالوث هو استعلانٌ حقيقيٌّ، وليس مجرد خيالات بشرية أو قصص آتية من حضارة قديمة.

– والمحبة الواحدة للثالوث تؤكد لنا أننا نشـــترك في الحياة الإلهية؛ لأن "الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا .... لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضـــاً شَـــرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَـــرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُـــوعَ الْمَسِيحِ" (١يوحنا ١: ٢-٣).

– لقد أخبرنا الرب بالحق الواحد الذي لا ثانِ له، وهو "هَذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ:

أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنا ١٧: ٣).

معرفة الآب الإله الحقيقي هي معرفة الحياة الأبدية، هي استعلان محبة الله:

عندما قال الرب: "أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ"، فقد أضاف "لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي (بواسطتي)"، ثم أخبر فيلبس: "أَنَا فِي الآبِ وَالآبُ فِيَّ" (يوحنا ١٤: ٦ و١٠). والتعليم عن المحبة الواحدة ثابتٌ على أساس ما علَّمنا إياه ربُّ المجد نفسه: "إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كلاَمِي وَيُحِبُّهُ أَبِي وَإِلَيْهِ نَأْتِي وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلاً (إقامة)" (يوحنا ١٤: ٢٣). قبل ذلك حدَّد الرب نفسه: "اَلَّذِي عِنْدَهُ وَصَايَايَ وَيَحْفَظُهَا فَهُوَ الَّذِي يُحِبُّنِي وَالَّذِي يُحِبُّنِي يُحِبُّهُ أَبِي وَأَنَا أُحِبُّهُ وَأُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي" (يوحنا ١٤: ٢١).

واستعلان الذات هذا: "أُظْهِرُ لَهُ ذَاتِي" في يوحنا ١٤: ٢١ هي أقوى عبارة وردت على لسان الرب يسوع تؤكد لنا أن المحبة الأقنومية أو الشخصية هي محبة ذاتية لا يمكن أن تكون مجرد صفة، فلا صفةَ بدون أقنوم؛ لأن الأقنوم هو الكيان الخاص والفرد والمتميز الذي لا يمكن أن يتحول إلى صفة، لأن الصفة مهما كانت ليست إلا الوصف اللغوي لحياة أو كيان الأقنوم.

المحبة الذاتية أو الأقنومية:

المحبة الأقنومية هي التي جعلت الأقنوم يتجسد، هي حركة إرادية شخصية، وهي نابعة من ذات الأقنوم؛ لأن الكلام السابق للرب مثل:

- "يحبه الآب،

- أنا أحبه،

- أُظهر له ذاتي"، هو بكل يقين ما يعبّر عن حقيقة كيان قَبِلَ حياةً أخرى، وهي أن يدخل متجسداً دنيا وحياة الإنسان، وأن يحشر ذاته في كيانٍ ضيّقٍ ضعيف

مائتٍ، وهو الطبيعة الإنسـانية. وعبارة معلمنا بولس "أخلى ذاته"، هي عبارة مُعبِّرة تماماً عن هذا القبول، وقد كُتبت عنها رسـائل دكتوراه تدور حول التكوين الشـعري، والمعاني اللاهوتية في (فيلبي ٢: ٥-١١)[١].

ذلك؛ لأن إخلاء الذاتي الذي عبَّر عنه معلمنا أثناسيوس الرسولي بـ "الحضور المتجسـد" (تجسـد الكلمة ١٨ – ضـد الأريوسيين ١: ٥٩ – ٢: ٥٥ – ٢: ٦٦)، هو حضورٌ حقيقيٌّ كيانيٌّ انسكبت منه الحياة كعطيةٍ إلهيةٍ لنا.

وإخلاء الذات هو الذي جعل الربَّ رأسَ الكنيسـة التي نالت أعظم ما يُقال عنها، وهو "جسـد المسيح"؛ لأنه بذات الفعل، أي بالإخلاء، يجمع كل أعضـاء جسـده الذين يحتاجون إلى الاغتسال والاستنارة لكي يتحد بهم.

المحبة الأقنومية والمواهب:

بسـبب الجهل وعدم الوعي، قد نلتمس العذر ونطلب المغفرة والاسـتنارة للذين انساقوا وراء "الفصل" بين أعمال الرب واستعلانات الرب، والمواهب، واعتبروا أن المواهب ليسـت هي الأقنوم. لكن عندما يتحول موضـوع الأقنوم والمواهب إلى حربٍ على الروح القدس نفسه، فالأمر عندئذٍ يصبح خطيراً؛ لأنه يزيّف التعليم عن محبة الله، ويطوّح بنا إلى غربةٍ أبديةٍ بعيدةٍ عن الشـركة الأقنومية للثالوث، وهي الشـركة التي دُعينا إليها. ولا يوجد تعبيرٌ أبلغ عن جهل هؤلاء، إلا ما كتبوه ونشروه من أن الشركة في الحياة أو الطبيعة الإلهية هي "شِـركٌ"، وجريمةٌ يحاربها الإسـلام، ولم يلاحظ الذي صـاغ هذا الاتهام[٢] أن فعل "يشترك ويُشرك"، وأن "الشركة" هي دعامات العهد الجديد، وبالتالي فكأنه أصدر حكماً على العهد الجديد، وعلى الرب يسـوع نفسـه الذي أعطانا شـركةً في جسـده، أو سـر

---

(١) راجع على سبيل المثال: R.P. Martin, Carmen Chrisi, 1967

(٢) راجع قداسة البابا شنودة الثالث، بدع حديثة، الطبعة الثالثة، القاهرة، يونيو ٢٠٠٧، ص ١٥٩.

الشركة، وهو سر التناول نفسه.

لقد استُعلنت المحبة في تجسد ابن الله:

- فصار الرب آدم الأخير أو الثاني.
- وصار رأس الجماعة الجديدة جسده، أي الكنيسة.
- وصار بكراً بين إخوةٍ كثيرين.
- وصار الوسيط بين الآب وبين الخليقة.
- وصار هو نفسه حياتنا الجديدة.

كل هذا تحقق بما قام به في الجسد الذي حوَّله من مائتٍ إلى غير مائتٍ، فتحررت الإنسانية من حكم الموت، ومن العبودية للفساد إلى مجد القيامة. هذا التحول لم يكن مجرد **عبارات تُقال، بل هي أعمال الخلاص**، وكان الرب نفسه يقوم بها من أجل خلاص الإنسان، ولذلك لا يمكن أن تُوصَف أعمال الرب بأنها مواهب، بل هي العمل الأقنومي الذي قام به الرب في الجسد؛ لأن تحول الناسوت الذي أخذه من القديسة مريم إلى ناسوت غير قابل للموت، ليس موهبةً، بل هو تحوُّلٌ في كيانٍ متجسِّدٍ، وهو ما جعلنا نقر ونعترف في القداسات بأن الجسد هو: "الذبيحة الإلهية غير المائتة السمائية".

وإذا قال الذين يحاربون الروح القدس بأن ما قيل عن الرب لا ينطبق على أعمال الروح القدس، صار ضلالُ هؤلاء لا مثيل له في تاريخ الكنيسة؛ لأن أي مراجعة لإصحاح ١٢ من كورنثوس الأولى تؤكِّد أن أعمال الروح القدس هي أعمالٌ من أجل الكنيسة جسد المسيح.

فقد أكَّد الرسول أن الروح لا ينقسم، بل يظل الروح الواحد هو الشهادة ليسوع بأنه ربٌّ (١٢: ٣). وأن تنوع المواهب هو مثل تنوع أعضاء الجسد، وهنا، الحق الواحد

هو "لأَنَّنَا جَمِيعَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ أَيْضاً اعْتَمَدْنَا إِلى جَسَدٍ وَاحِدٍ ... وَجَمِيعُنَا سُقِينَا رُوحاً وَاحِداً" (١٢: ١٣).

وبعد ما قيل عن تنوع المواهب والروح الواحد وعدم الانقسام، قدَّم الرسول التعليم الإلهي: "وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجَسَدُ الْمَسِيحِ وَأَعْضَاؤُهُ أَفْرَاداً" (١٢: ٢٧) لأن الحقيقة الإلهية هي أن الإيمان الذي دعينا اليه هو "شَرِكَةِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا" (١كو ١: ٩).

دور الروح القدس في التجسد، وفي الكنيسة

كوَّن الروح القدس جسد المسيح في الحشا البتولي، ومن كلمات الرسول في (١كو ١٢: ١٣ و١٢: ٢٧) يظهر لنا أن الذي يكوِّن الكنيسة هو الروح القدس؛ لأن الولادة الجديدة من الماء والروح في سر المعمودية تنقلنا من آدم الأول إلى المسيح. فالحياة الجديدة جداً (رو ٧: ٢٦) هي الانعتاق من الشريعة المكتوبة، تلك التي أسماها الرسول نفسه "خدمة الموت" (٢كو ٣: ٧)؛ لأن ذلك الانعتاق، تم بالموت والقيامة. والذي أقام الرب يسوع من الموت هو نفسه الروح القدس، الذي كوَّن ناسوته "وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِناً فِيكُمْ فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ" (رو ٨: ١١).

الأمرُ جدُّ خطير؛ لأن المصير الأبدي هو القيامة، وهو ذات التحول الذي حدث في ناسوت الرب نفسه لكي تكون أجسادنا حيَّةً بذات مجد المسيح؛ لأنه هو الذي "سَيُغَيِّرُ شَكْلَ جَسَدِ تَوَاضُعِنَا لِيَكُونَ **عَلَى صُورَةِ جَسَدِ مَجْدِهِ**، بِحَسَبِ عَمَلِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُخْضِعَ لِنَفْسِهِ كُلَّ شَيْءٍ" (فيلبي ٣: ٢١).

ذلك التحول الذي يؤهلنا لميراث الملكوت وللحياة الأبدية، هو تحوُّلٌ من الموت إلى الحياة الأبدية "وَنَحْنُ جَمِيعاً نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ (ذات صورة الرب) عَيْنِهَا (صورة الأقنوم المتجسد)، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، **كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ**" (٢كو ٣: ١٨).

فإذا أمسكنا بخيوط التدبير، نرى أن كل ما فعله الرب من أعمال تصل إلينا بواسطة الروح القدس، هو نسيج التدبير كله، سُداه ولُحمته.

مواهب الخدمة ليست أبدية:

وصفها الرسول بأنها "تدابير" (١ كور ١٢: ٢٨) هي:

- خِدم (١٢: ٥).
- إظهار الروح للمنفعة (وليس إظهار المواهب فقط) (١٢: ٦).
- كلام حكمة وعلم، أي تعليم بالروح (١٢: ٨).
- ايمان (١٢: ٩).
- قوات متنوعة (١٢: ١٠).
- نبوة (١٢: ١٠)، والنبوات سوف ستبطل (١٣: ٨).
- الألسنة والترجمة (١٢: ١٠)، وهذه سوف تبطل (١٣: ٨).

وهنا يظهر السؤال الحاسم: هل اتحادنا بالمسيح يسوع في السرائر، وتحوُّلنا إلى ذات حياة الرب، هل هو مواهبَ زمانية، أم عطايا ونِعم أبدية رَسَمَت المصير الأبدي لكل إنسان مسيحي؟

الحياة الأبدية عطية الآب والابن والروح القدس:

كانت رسائل القديس أثناسيوس إلى سرابيون هي أول كتاب كامل عن الروح القدس بعد الفقرات الكثيرة في مؤلفات العلامة أوريجينوس. وقد سجَّل لنا القديس

أثناســـيوس أن كل نعمة هي من الثالوث، وبعد تأكيد أُلوهية الروح القدس، قدَّم لنا التسليم الكنسي:

– فالروح هو الذي "يكمِّل فينا كل معرفتنا عن الله ويتمم كمالنا الخاص الذي به وحَّدنا (الروح) مع شخصه، ومن خلاله (الروح) مع الآب" (سرابيون ١: ٦ ص ٣٧).

– والثبات في المســـيح ليس من مواهب الخدمة، بل كما كتب يوحنا الإنجيلي: "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه أعطانا من روحه (١يوحنا ٤: ١٣). (راجع الرسائل عن الروح القدس إلى سرابيون ١: ٦ ص ٣٨).

– والبنوة أُعطيت لنا في المسيح بالروح القدس لأن الله أرسل روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً أبَّا abba أيها الآب (غلا ٤: ٦) ومع البنوة جاء ميراث الملكوت (غلا ٤: ٧). (المرجع السابق ١: ٦، ص ٣٩).

– والتجديد؛ لنكون من جديد أيقونة المســـيح، لأننا كما كتب أثناســـيوس: "نتجدد بروح الله" (الرسائل إلى سرابيون ١: ٩، ص ٤٤). لأن الخلق الجديد تم تجديده بالروح القدس: "لأن الإنسان الأول الذي صوَّره أولاً، عاد وجدَّده بعد السقوط، لأنه هو ذاته الذي جاء إلى الخليقة عندما صار اللوغوس جسداً، لكي كما قال الرسول: "يخلق الاثنين (اليهود والأمم) في ذاته إنساناً واحداً جديداً، المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق (أفسس ٢: ١٥ – ٤: ٢٤)" (المرجع السابق ١: ٩ ص ٤٤ – ٤٥).

– فالروح القدس "هو الذي فيه بواســـطة اللوغوس يكمِّل الآب كل الأشـــياء ويجددها (المرجع الســـابق ١: ٩ ص ٤٤)، ولذلك فقد دُهشـــت من ســـخرية واحدٍ من الأساقفة –رحل إلى الله– عندما أعدتُ نشر ما كتبه أثناسيوس نفسه:

"وحيث أن الآب هو الينبوع والابن يسمى نهراً، لذلك نقول إننا نشرب الروح. لأنه مكتوبٌ: "جميعنا سقينا روحاً واحداً (١كو ١٢: ١٣) ولكن

حينما نشرب الروح، فإننا نشرب المسيح "لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح" (١كو ١٠: ٤). (راجع الرسائل عن الروح القدس إلى سرابيون ١: ١٩، ص ٦٣).

وصاغ هذا الأسقف سخريته في عبارةٍ غريبة: "اللاهوت لا يُشرب"، فصار يعرف اللاهوت أكثر من بولس الرسول، وأكثر من أثناسيوس، بل ومن الرب يسوع نفسه الذي وقف في عيد المظال ونادى قائلاً: "إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي كَمَا قَالَ الْكِتَابُ تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ». قَالَ هَذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ" (يوحنا ٧: ٣٧ – ٣٩).

أمَّا الشُّرب والسُّكنى، بل والإقامة فينا، فهي أفعالُ الرب التي وُهِبَت لنا لأنها شركته فينا، ولذلك أعطى الربُّ لنا الروح بعد قيامته (يوحنا ٢٠: ٢١-٢٢).

المحبة الإلهية هي إقامة وسُكنى الثالوث فينا:

كتب معلمنا أثناسيوس: "يقيم الله فينا، لأنه هكذا كتب يوحنا "إن أحب بعضنا بعضاً فالله يقيم فينا، بهذا نعرف أننا نقيم فيه وهو فينا لأنه قد أعطانا من روحه" (راجع ١يوحنا ٤: ١٢-١٣) وحيث أن الله كائنٌ فينا، يكون الابن ايضاً فينا لأن الإبن نفسه قال: "الآب وأنا نأتي إليه ونصنع عنده منزلاً" (يوحنا ١٤: ٢٣). (الرسائل إلى سرابيون عن الروح القدس ١: ١٩، ص ٦٤).

ومحبة الله هي التي جعلت الروح هو حياتنا، وهكذا كتب أثناسيوس: "الابن هو الحياة لأنه يقول: "أنا هو الحياة" (يوحنا ١٤: ٦)، ونحن لذلك نحيا بالروح لأنه يقول: "الَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضاً بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ" (رو ٨: ١١)، وحيث أننا صرنا أحياء، فالمسيح نفسه يحيا فينا (غلا ٢: ٢٠)" (المرجع السابق ١: ١٩، ص ٦٤).

عَودٌ إلى البدء:

عندما تحول عمل الروح القدس، أي العمل الأقنومي الذي فيه يرد إلينا الروحُ "الصورةَ الإلهية"، إلى مواهب الخدمة، ساد تعبير بعض الأساقفة: "الحلول المواهبي"، ضاع من الوعي:

أولاً: أن هبة الحياة الأبدية، يعطيها الروح القدس لنا لكي نحيا إلى الأبد: "ولا يقوى علينا موت الخطية" كما نقول في صلواتنا، وإلا نكون قد تركنا الرب المحيي لكي نسعى وراء مواهب الخدمة الزمانية الخاصة بتدبير الكنيسة.

هذا خطأٌ فادحٌ كُتِبَ ونُشِرَ لمجرد عناد طائش لما نشره الأب متى المسكين.

ثانياً: أن استدعاء الروح القدس في سرائر الكنيسة لتقديس مياه المعمودية، هو عملٌ إلهيٌّ، وليس موهبةً زمانيةً؛ لأنه يؤسِّس فينا ويمنحنا الميلاد الجديد "من الله"، وليس من مواهب، بل "من الله ذاته"، وأن مسحة الروح القدس التي يمسحنا بها المسيح هي عمل الأقنوم نفسه؛ ولتأكيد ذلك يكتب أثناسيوس العظيم: "الروح يُدعى مسحة وهو الختم (١يوحنا ٢: ٢٧) ... والمخلوقات تُختم وتُمسح بواسطته وتتعلم منه كل شيء، ولكن إن كان الروح هو المسحة والختم الذي به يمسح الكلمةُ كلَّ الأشياء ويختمها، إذن، فأي شَبَهٍ أو انتماءٍ للمسحة والختم مع الأشياء التي تُمسح وتُختم ... والختم له صورة المسيح الذي يختم والذين ينالون الختم يشتركون في الصورة وهي ختم المسيح كما يقول الرسول: "يا أولادي الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتكوَّن (يتصور) المسيح فيكم (غلا ٤: ١٩)، وهكذا، إذ نُختَم، فمن الطبيعي أن نصير شركاء الطبيعة الإلهية (٢ بط ٢: ٤)، وهكذا كل الخليقة تشترك في الكلمة بالروح" (سرابيون ١: ٢٣ ص ٧٢ – ٧٣).

من هنا يتضح لنا أن فقدان الشركة هو فقدان المصير الأبدي الذي لم يفكر فيه محاربو أقنوم الروح القدس، لأن ذلك المصير هو أن نكون مثل المسيح (١يوحنا ٣: ٣)، فإذا أضاع هذا التعليم المزيَّف هذا المصير الأبدي، ولم يُدرَس التعليم المسلَّم لنا من الآباء،

فماذا يبقى لنا إلا صورة آدم الأول؟

إنه ليس الحلول المواهبي، بل حلول وسُكنى، أو إقامة الابن فينا؛ لأن أثناسيوس العظيم كتب: "مَن يمكنه أن يفصل الابن عن الآب، أو يفصل الروح عن الابن، أو عن الآب .. لأنه فيما يوجد الروح فينا، يقال إن الابن فينا". (سرابيون ١: ٢٠ ص ٦٥).

ماذا حقق تجسد الله الكلمة؟

من الصعب علينا إذا تكوَّنت لدينا أيقونة التدبير أن نقول إن تجسُّد الرب هو بدايةٌ أو هو غايةٌ؛ لأن ما فعله الإبن لنا عندما تجسَّد يفوق ما يمكن أن يُوصَف بمثل هذه الأوصاف، ولكن يجب أن يكون واضحاً:

أولاً: أننا أمام الاتحاد الأبدي بين الله والإنسانية في يسوع. وقد فتح لنا هذا الاتحاد طريق الحياة الأبدية نفسه باتحادنا بالإيمان بمن جاء إلينا "وأخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".

ثانياً: أننا إزاء تحولٍ كيانيٍّ نُقِلنا فيه من عبودية الطبع البيولوجي إلى طبيعة الابن الممجَّد.

فالعيد إذن، هو عودةُ من يؤمن إلى مجد الله. ذلك المجد الأبدي الذي ردَّه الثالوث لنا.

ثالثاً: "صار الكلمة جسداً، ولم يعد "الحقُ" كلمةٌ تُقال، بل عملاً مستعلناً في اللحم والدم، وصار العمل يخلقُ الكلمات؛ لأن الكلمات لا تتحول إلى أعمال.

كل عام وأنتم بخير. أعاده الله علينا وعلى شعب مصر بخير وسلام.

د. جورج حبيب بباوي